# الحضارة الإسلامية

# ISLAMIC CULTURE AND CIVILIZATION

مُحَمَّد أمين مُحَمَّد عفيف الديرشوي[1]

## Abstract

*This brief research deals with the role of Islamic civilization in human history since its inception 1400 years ago and its passing through many stages until the present day. The research also addresses what this civilization bears in terms of characteristics and features that make it distinct from other civilizations, and the answer to questions that question the Islamic civilization and claim that it is an inauthentic civilization .The study also discusses the political, economic, social, intellectual and artistic aspects of Islamic civilization, citing historical incidents and evidence that support the idea of the inclusiveness of Islamic civilization and its inclusion of all areas contained in any civilization.Furthermore, the study compares the Islamic civilization with other civilizations such as the Western and Indian, showing the most important foundations and principles that distinguish between them, then talks about the challenges facing the Islamic civilization in our current era, the future of Islamic civilization, and responding to theories that claim the inevitability of the demise of civilizations, including the Islamic civilization.The study derives several conclusions, which have been divided them*

[1] طالب ماجستير، تخصص أديان وحوار الحضارات، جامعة قطر

*into points that contributed to further clarifying the role of Islamic civilization in the field of human history, and that it is an authentic civilization that has continued since fourteen centuries until God inherits the earth and those on it.*

**KEYWORDS:** civilization, Islam, Islamic civilization

**مستخلص البحث**

يتناول هذا البحث الموجز دور الحضارة الإسلامية في التاريخ الإنساني منذ نشأته قبل 1400 سنة ومروره بالعديد من المراحل حتى يومنا الحالي، وما تحمله هذه الحضارة من خصائص ومميزات تجعلها مميزة عن غيرها من الحضارات، والإجابة على الأسئلة التي تشكك في الحضارة الإسلامية وتدعي بأنها حضارة غير أصيلة قائمة على أصول حضارات قبلها.

وقد ذكرت أيضاً مظاهر الحضارة الإسلامية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والفنية مستعيناً بذكر الحوادث والشواهد التاريخية والتي تدعم فكرة شمولية الحضارة الإسلامية واحتوائه لجميع المجالات التي تحتويها أي حضارة.

وقد قارنت بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى كالغربية والهندية مبيناً أهم الأسس والمبادئ التي تميز ما بينهم، ثم تحدثت عن التحديات التي تواجهها الحضارة الإسلامية في عصرنا الحالي، ومستقبل الحضارة الإسلامية والرد على النظريات التي تدعي حتمية زوال الحضارات ومنها الحضارة الإسلامية.

وانتهيت إلى عدة نتائج بينتها في الخاتمة حيث قسمتها على شكل نقاط أسهمت في زيادة توضيح دور الحضارة الإسلامية في مجال التاريخ الإنساني، وأنها حضارة أصيلة مستمرة منذ أربعة عشر قرناً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

**الكلمات المفتاحية:** حضارة، إسلام، الحضارة الإسلامية.

**مقدمة:**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.. أما بعد.

فقد ظهرت آراء واتجاهات تشكك في الحضارة الإسلامية وتدعي بأنها حضارة غير أصيلة قائمة على أصول حضارات قبلها كالرومانية والفارسية والهندية، وفي هذا البحث سأتكلم عن الحضارة الإسلامية وخصائصها وأصالتها ومظاهرها ودورها الكبير في مجال التاريخ الإنساني كرد علمي موثق بالكتب والمصادر على تلك الآراء والاتجاهات المشككة التي لا تعتمد على أي أساس علمي، وإنما تنبع من كراهية وعداء وحقد دفين.

وقد قسمت بحثي إلى:

– مقدمة بينت فيها مشكلة البحث وأسئلته وأهميته والمنهج المتبع والدراسات السابقة.

– المبحث الأول تكلمت عن مفهوم وخصائص وأصالة الحضارة الإسلامية.

– المبحث الثاني عن مظاهر الحضارة الإسلامية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والفنية.

– المبحث الثالث عن مقارنة بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى كالغربية والهندية.

– المبحث الرابع عن الحضارة الإسلامية بين التحديات والمستقبل.

ثم خاتمة بينت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها خلال البحث، ثم قائمة بالمصادر والمراجع.

وأسأل الله التوفيق.

**مشكلة البحث:**

تكمن مشكلة البحث في إبراز دور الحضارة الإسلامية ومكانتها عبر التاريخ إلى يومنا هذا مما يشكل رداً في وجه الشبهات التي تنقص من قدر الحضارة الإسلامية والتشكيك فيها.

**أسئلة البحث:**

1– ما هي الحضارة الإسلامية؟ وما هي خصائصها؟

2– هل الحضارة الإسلامية حضارة أصيلة؟

3– ما هي مظاهر الحضارة الإسلامية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والفنية؟

4– ما هي التحديات التي تواجه الحضارة الإسلامية؟

5– ما هو مستقبل الحضارة الإسلامية؟

**أهمية البحث:**

جاءت الحضارة الإسلامية لكي تبرز دورها في هذه الحياة، ذلك الدور الذي حباها الله بأن جعلها حضارة قائمة على أسس دينية إلهية مهمتها نشر رسالة الإسلام التي جاء بها النبي مُحَمَّد ﷺ إلى العالمين كافة، وهذا البحث تكمن أهميته في إبراز دور الحضارة الإسلامية عبر عصورها المختلفة وفي مظاهرها من شتى الجوانب، ومدى تأثيرها منذ ظهورها وعبر عصورها المختلفة وإلى عصرنا هذا، بشكل موجز غير مخل بالمعنى العام للموضوع.

**منهج البحث:**

اعتمدت في بحثي هذا على المناهج التالية:

- المنهج الوصفي.

- المنهج التحليلي.

- المنهج المقارن.

**الدراسات السابقة:**

كثرت الكتابات في هذا الموضوع وبصور مختلفة فمنها من تحدث عن الحضارة الإسلامية من ناحية المفهوم والخصائص والأسس، ومنها من تعرض للعصور الإسلامية مبيناً المظاهر السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية فيها، ومن هذه الدراسات:

1- الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة لشوقي أبو خليل.

2- الإسلام والحضارة العربية، لمحمد كرد علي.

3- الحضارة الإسلامية من القرآن والسنة، لشوقي أبو ضيف.

4- دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، لحسان حلاق.

5- أطلس الحضارة الإسلامية، لإسماعيل راجي الفاروقي.

6- تاريخ الحضارة الإسلامية، لأبي زيد شلبي.

**المبحث الأول: مفهوم وخصائص وأصالة الحضارة الإسلامية:**

**المطلب الأول: مفهوم الحضارة عند علماء الإسلام:**

يعد ابن خلدون من أوائل المشتغلين بالعلوم الحضارية في الفكر الإسلامي، وعد الحضارة والبداوة أجيال طبيعية لا بد منها، ولكن البداوة أقدم والبدو أسبق من الحضر والمدن، ولكن مفهومه لا يشمل الجوانب العقلية والخلقية والدينية، فهو أقصر من ناحية المعنى من الاصطلاح الحديث، يقول: والحضارة إنما هي تفنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله فلكل واحد منها صنائع في استجادته والتأنق فيه تختص به ويتلو بعضها بعضاً وتتكثر باختلاف ما تنزع إليه النفوس من الشهوات والملاذ والتنعم بأحوال الترف وما تتلون به من العوائد[2].

[2] ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، دار الفكر بيروت، الطبعة الثانية، سنة 1988 صفحة 2016

وتعريفه هذا يقتصر على العمران وما يعرف بالمدينة وعمر الدولة، والبدو والحضر باعتبارهما أجيالاً طبيعية في المجتمعات المتغايرة ، وهو تعريف غير واف ولا يستوعب مصطلح الحضارة وظواهرها المتعددة[3].

والحضارة عنده هي الوصول إلى منتهى العمران، أي منتهى التطور الثقافي الشخصي المحلي للجماعة، والدخول في هذا الطور يشمل أعلى نقطة في تطور المجتمع، إذ هو دور الثبات في الرقي الاجتماعي، الذي يعقبه الانحدار والفساد[4].

وفي كتابه معالم في الطريق ذكر سيد قطب بأن الإسلام هو الحضارة، مؤكداً بما لا يدع مجالاً للشك بأن الإسلام هو وحده الحضارة ودونه تخلف فلا يجوز إطلاق حضارة على سواه من الأمم، يقول: المجتمع الإسلامي بصفته تلك هو وحده المجتمع المتحضر، والمجتمعات الجاهلية بكل صورها المتعددة مجتمعات متخلفة.

فالحاكمية العليا في المجتمع تكون لله وحده ممثلة في سيادة شريعته وتحرر البشر تحرراً كاملاً وحقيقياً من عبودية البشر وتكون هذه هي الحضارة الإنسانية.

[3]القاضي، نصر الدين مصباح، منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة، دار الفكر العربي القاهرة، الطبعة الأولى سنة 2002 صفحة 87

[4]مؤنس، حسين: الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، سلسلة عالم المعرفة، سنة 1978 صفحة 335

وقد أنكر مُحَمَّد قطب أيضاً جواز إطلاق مصطلح الحضارة على الأمم الأخرى كالفرس والهند والإغريق والرومان والغرب باعتبارهم يعيشون جاهلية منكرة[5].

وقد عرف أبو الأعلى المودودي الحضارة بأنها: نظام متكامل يشمل كل ما للإنسان من أفكار وآراء وأعمال وأخلاق في حياته الفردية أو العائلية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية، والحضارة تتكون من خمسة عناصر وما من حضارة وإلا قد تكونت منها وهن:

1) تصور الحياة الدنيا.
2) غاية الحياة.
3) العقائد والأفكار الأساسية.
4) تربية الأفراد.
5) النظام الاجتماعي.

ولكنه يربط هذا التعريف بصلاح العقيدة الدينية، يقول:

أما الإيمان من النوعية الدينية فإنما يكون أساساً لحضارة قائمة على الدين، إذا لا يكون ثمة في هذه الحالة إلا إيمان واحد هو الذي يحكم الدين والدنيا معاً، أما الحضارة التي لا تقوم

[5]حميدان، قاسم بشرى: أسس بناء الحضارة في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه من جامعة القرآن الكريم في السودان، صفحة 9

على الدين فإن الإيمان الديني ينفصل فيها عن الإيمان الدنيوي ولا يبقى منها أي تأثير للإيمان الديني في حياة الأفراد الشخصية أو الاجتماعية[6].

وقد عرف مُحَمَّد سعيد رمضان البوطي الحضارة بأنها: ثمرة التفاعل بين الإنسان والكون والحياة[7].

وعرف مالك بن نبي الحضارة من عدة جوانب منها:

أ- الحضارة باعتبار جوهرها: فهي بهذا الاعتبار تتطابق مع معنى الثقافة عنده، أي يعرفها بأنها: في جوهرها عبارة عن مجموع من القيم الثقافية المحققة، فالثقافة هي جوهر الحضارة[8].

ب- الحضارة باعتبار المبدأ الذي تتأسس في ضوئه، وطبيعة مجتمعها، فهو يعرفها من هذا الجانب بأنها: إنتاج فكرة حية تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضر، الدفعة التي تجعله يدخل التاريخ، فيبني هذا المجتمع نظامه الفكري طبقاً للنموذج

[6]المودودي، أبو الأعلى: الحضارة الإسلامية، دار الكتب العربية بيروت، الطبعة الأولى سنة 1970 صفحة 6

[7]البوطي، مُحَمَّد سعيد رمضان: منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى سنة 1981 صفحة 19

[8]بن نبي، مالك: مشكلة الثقافة، دار الفكر دمشق، الطبعة الرابعة سنة 1984 صفحة 101

المثالي الذي اختاره، وعلى هذا النحو تتأصل جذوره في محيط ثقافي أصيل، يتحكم بدوره في جميع خصائصه التي تميزه عن الثقافات الأخرى، والحضارات الأخرى[9].

ت– الحضارة باعتبار عناصرها التي تتركب منها، فهي من هذا الجانب بناء مركب اجتماعي يشمل ثلاثة عناصر فقط، مهما كانت درجة تعقيدها كحضارة القرن العشرين، وهذه العناصر هي: الإنسان والتراب والزمن.

فالحضارة = إنسان + تراب + زمن[10].

ويمكن استخلاص نظرة مالك بن نبي للحضارة عبر النقاط التالية:

أ– إن الحضارة كل لا يتجزأ، فهي عبارة عن تركيب يتم بواسطة مركب معين، وفق منهج معين.

ب– الحضارة تتكون من جانبين: جانب معنوي وآخر مادي.

ت– الجانب المادي متوقف على الجانب المعنوي ونتيجة له في الواقع.

[9] بن نبي، مالك: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى سنة 1988 صفحة 49

[10] بن نبي، مالك، تأملات، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى سنة 1979 صفحة 199

ث– إن تناول مشكلة الحضارة هو تناول لها من الزاوية الاجتماعية، وباعتبارها جوهر المشكلات الاجتماعية، وأساسها وباعتبارها مختصة بالمجتمع التاريخي من دون المجتمع البدائي[11].

وأما مفهوم الحضارة الإسلامية فتعني: كل ما قدمه الإسلام لمجتمع الإنساني من قيم ومبادئ وقواعد ترفع من شأنه، وتمكنه من التقدم في الجانب المادي، وتيسر الحياة للإنسان، وبمعنى آخر هي كل ما جاء به الإسلام لخدمة البشرية كلها عقيدة، وعلوم، وسياسة، واقتصاد، وتربية، حتى يستطيع الإنسان القيام بمهامه التي كلفه الله بها في هذه الحياة الدنيا على الوجه الأكمل[12].

**المطلب الثاني: خصائص الحضارة الإسلامية:**

تميزت الحضارة الإسلامية بجملة من الخصائص التي تعد بمثابة التعبير الأصيل عن جوهر هذه الحضارة ومغزاها النهائي، وما يلي أبرز هذه الخصائص:

أ– **التوحيد:**

[11] العويسي، عبد الله بن حمد: مالك بن نبي حياته وفكره، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى سنة 2012 صفحة 391

[12] الغزال، على أحمد مُحَمَّد: الصراع الحضاري بين الغرب والإسلام، رسالة ماجستير من جامعة أم درمان الإسلامية نشرت بتاريخ 2006 صفحة 20

تتميز الحضارة الإسلامية بهذه العقيدة التي تعبر عن توحيد الله سبحانه وتعالى فهو المنفرد بالربوبية والألوهية، وهو المعبود بحق، ولا معبود سواه، وهو الحاكم المطلق، الذي لا معقب لحكمه، يسير حياة البشر وفق قوانين ونظم وسنن منظمة بدقة وحكمة، وهو الذي يعطي ويمنع ويعز ويذل من يشاء، ومن هنا يتحقق للإنسان المسلم سموه الإنساني ويتحرر الإنسان تبعاً لذلك من طغيان الحكام واستبداد الملوك والأمراء[13].

يقول إسماعيل الفاروقي: التوحيد يعطي الحضارة الإسلامية هويتها، فهو الذي يربط بين أجزائها وهو الذي يطبع كل ما يدخل إليها من عناصر فيؤسلمها ويطهرها فتخرج من عبورها في التوحيد متجانسة مع كل ما حولها[14].

ب- **خلافة الإنسان على الأرض:**

[13]القاضي، نصر الدين مصباح، منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة، دار الفكر العربي القاهرة، الطبعة الأولى سنة 2002 صفحة 105

[14]خليل، عماد الدين: في خصائص الحضارة الإسلامية، مجلة الآفاق جامعة الزرقاء، سنة الأولى العدد الثاني، سنة 2000 صفحة 53

رفعت الحضارة الإسلامية من شأن الإنسان ومنزلته، فالله جعله خليفته على الأرض، قال عز وجل: ((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)) سورة البقرة 30 ، وهذه المنزلة العلية الرفيعة ذكرت في العديد من الآيات القرآنية لتؤكد على أن الله قد جعل الإنسان خليفته وأعطاه من العلم ما لم يعطه للملائكة، وجعل له أفضلية بأن أمر الملائكة بالسجود له، قال تعالى: ((وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)) سورة البقرة 34 .

**ت– العالمية والحيوية:**

الحضارة الإسلامية ليست مخصصة لجنس واحد معين، وإنما هي عالمية بمعنى أنها تتسع لجميع الأمم والأجناس المختلفة، ولنا في سيرة النبي ﷺ خير دليل، إذ كان من بين صحابته الكرام إلى جانب العرب بلال الحبشي وسلمان الفارسي وصهيب الرومي وجابان الكردي وغيرهم.

وبفضل الحضارة الإسلامية نجد الأمم التي دخلت الإسلام تطور حياتها معنوياً ومادياً تطويراً واضحاً في ظلها، وترتقي بجميع مكونات الحياة بعد أن كانت متخلفة متناحرة فيما بينها.

وقد ورد من كثير من المستشرقين وصفاً عن الحضارة الإسلامية ومبتكراتها وإبداعها الفني وقالوا: هي من الحضارات الإنسانية المهمة، وقد قال غوستاف لوبون وهو يصف حيوية الحضارة الإسلامية: وقد رأينا العرب ذوي أثر بالغ في تمدين الأمم التي خضعت لهم، وقد تحول بسرعة كل بلد خفقت فوقه راية الرسول ﷺ، فازدهرت فيه العلوم والفنون والآداب والصناعة والزراعة. ومن حيوية هذه الحضارة أنها أثرت في المدنية العالمية وفي نقل تراث الأمم القديمة، وكان لها أثر فعال في الشرق والغرب، كما كانت من عوامل النهضة الأوروبية الحديثة[15].

**ث– المثل العليا والمبادئ الأخلاقية السامية:**

[15]الرحيم، عبد الحسين مهدي: تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، الجامعة المفتوحة طرابلس، سنة 1995 صفحة 33

جعلت الحضارة الإسلامية من المبادئ الأخلاقية المحل الأول في كل نظمها ومختلف ميادين نشاطها، ولم تنفك عنها، وكانت في الحق عاملاً جذرياً وطابعاً عضوياً قوامها التماس الرحمة والصدق والوفاء والعدالة، وإنكار أساليب الغر والنفاق والكذب.

وقد تخللت الحضارة الإسلامية كثير من المثل العليا التي لم توضع لمنفعة فرد محدد أو جماعة خاصة، بل في جميع المجالات السياسية والاجتماعية والتشريعية، وفي السلم والحرب روعيت تلك المبادئ الأخلاقية والمثل العليا[16].

**ج– الوسطية:**

يقول الله في كتابه: ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ)) سورة البقرة 143 ، والوسطية هنا ليس المقصود الموقع الجغرافي، ولكنها موقف نابع من عقيدة، واستراتيجية عمل، ورؤية نافذة لموقع الإنسان المؤمن في الكون والعالم، إنها القدرة الدائمة على التحقق بالتوازن وعدم الجنوح إلى اليمين واليسار، ومن خلال هذه

[16]القاضي، نصر الدين مصباح، منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة، دار الفكر العربي القاهرة، الطبعة الأولى سنة 2002 صفحة

القدرة يتحقق مفهوم الشهادة على الناس، لأنها تطل عليهم من موقع الإشراف المتوازن الذي لا يميل ولا يجور[17].

**المطلب الثالث: أصالة الحضارة الإسلامية:**

الأصالة في اللغة تعني أساس الشيء وأوله ومنطلقه، وتعني في مدلولها اللغوي التمسك بالأصول، وفي المصطلح المعاصر تعني الثبات والديمومة والاستمرار والصيرورة والتجديد والانفتاح والقدرة على الإبداع، وهذا المعنى يشير إلى أن الأصالة لا تربط الماضي بالحاضر آلياً، بل هي تعني صلاحية الماضي للاستمرار في تفاعله مع الحاضر، وما ينجم عن هذ التفاعل من تجدد في الأشكال الثقافية العامة[18].

وتطلق على حضارة ما بأنها أصيلة إذا كانت تحدث التوازن في جوانب الحياة المختلفة ومتطلباتها ديناً وعلماً وأدباً، وتكون لديها القدرة والقابلية على الاستجابة لمتطلبات الحياة المتغيرة، دون أن تفقد شيئاً من أسسها ومبادئها، فالحضارة التي تركز على تطوير جانب أو عدة جوانب من الحياة وتترك وتهمل جوانب أخرى لا يمكن أن تسمى حضارة أصيلة،

[17] خليل، عماد الدين: في خصائص الحضارة الإسلامية، صفحة 54

[18] الرحيم، عبد الحسين مهدي: تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، الجامعة المفتوحة طرابلس، سنة 1995 صفحة 45

والحضارة التي تقتصر على فئة تحتكر كل ثمارها لنفسها ولا تعطي أيضاً لا تكون حضارة أصيلة[19].

وعلى هذا الأساس يمكن عد الحضارة الإسلامية بأنها حضارة أصيلة من خلال النقاط التالية:

**أ– الأصالة في العقيدة والفكر:**

إذا كان لكل حضارة هويتها الخاصة بها التي تنطق عنها وتعبر برموزها عن نوازعها وطاقاتها وأن تلك الهوية المميزة لكل حضارة هي التي تسيطر وتوحد جميع نتائج الحضارة من فكر وأدب، وفن وعلم، فإن العقيدة الإسلامية هي التي ميزت الحضارة الإسلامية، كانت بمثابة حجر الزاوية في تكوين الحدث الحضاري الإسلامي، يقول المفكر الجزائري مالك بن نبي: الإيمان هو الذي يعطي الحضارة الإسلامية هويتها، هو الذي يربط بين أجزائها، وهو الذي يطبع كل ما يدخل

[19] الغزال، على أحمد مُحَمَّد: الصراع الحضاري بين الغرب والإسلام، رسالة ماجستير من جامعة أم درمان الإسلامية نشرت بتاريخ 2006 صفحة 19

إليها من عناصر فيزنها بميزان الحق سبحانه وتعالى فتخرج من عبورها خلال العقيدة الإسلامية متجانسة مع كل من حولها[20].

**ب– الأصالة في الفلسفة والعلوم الرياضية:**

ويقصد بالفلسفة الإسلامية: المنتوج الفكري الذي يشمل علم الكلام وعلم التصوف، وكذلك الأفكار والآراء التي طرحها فلاسفة الإسلام بعد اطلاعهم على منتوج فلاسفة اليونان ومحاولتهم تفسيره وشرحه وإزالة التناقض بينه وبين عقيدة الإسلام هذا الإنتاج الذي تكون ونما في ظل الحضارة الإسلامية واصطبغ وتلون بلونها، هو الذي يعرف باسم فلسفة الإسلام، أو فلسفة الإسلاميين.

والمسلمون أول من عرف منهج البحث التجريبي واستعملوه قبل معرفة الغرب له، وفي الحساب تقدم المسلمون خطوات واسعة وأضافوا إلى معلومات اليونان كثيراً من النظريات التي لم تعرفها أوروبا من قبل، كنظام الأعداد الهندي، والصفر لم تعرفه أوروبا إلا عن طريق المسلمين، وكذلك تقسيم الأعداد إلى زوجية وفردية، وتحديد النسبة

[20] الخطيب، سليمان: فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر بيروت، الطبعة الأولى سنة 1993 صفحة 124

بين الدائرة وقطرها، وعلم الجبر الذي ما زال محتفظاً باسمه في كافة اللغات الأوروبية وغيرها[21].

**ت– الأصالة في الطب والعلوم التجريبية:**

اهتم الإسلام منذ بداياته بعلم الطب للحفاظ على قوة وصحة ونشاط الجسم، وقد بدأ علماء الإسلام بتخليصه من أعمال التنجيم والكهانة، والاستفادة من تراث اليونان بعد تمحيصه وتدقيقه وتصحيحه، إلى أن وصلوا إلى مراحل متقدمة وقدموا إنجازات مهمة حيث استطاعوا التمييز بين مرض وآخر وتحديد الكثير من الأمراض المعدية وأطلقوا عليها اسم الأوبئة، وعرفوا إصلاح الخلل الهضمي وأقواس الأسنان واستخدام البنج في العمليات الجراحية، ومعالجتهم للأمراض العقلية والعصبية والنفسية وغيرها.

وفي الكيمياء يعد المسلمون من رواد البحث العلمي في علم الكيمياء في صورته الأولى لأنهم أول من جعل من الكيماء علماً قائماً بذاته مستنداً إلى التجربة والاختبار، إذ خلصوه من شوائب السرية

[21] الغزال، على أحمد مُحَمَّد: الصراع الحضاري بين الغرب والإسلام، رسالة ماجستير من جامعة أم درمان الإسلامية نشرت بتاريخ 2006 صفحة 43 بتصرف

والغموض والرمزية، التي علقت به منذ نشأته، فأوجدوا من هذا العلم منهجاً استقرائياً سليماً يعتمد على الملاحظة الحسية والتجربة العملية مما مكنهم من الوصول إلى اكتشافات وأبحاث علمية مبتكرة أدت بهم إلى إحراز نتائج مهمة في هذا المجال.

وفي الفيزياء قام المسلمون بالاستفادة من المؤلفات القديمة وفحصوها وأعادوا إنتاجها وفق التجارب للتثبت من صحة النتائج، وبهذه الطريقة صححوا ما وقع فيه السابقون من أخطاء واستكملوا ما شرعوا فيه من بحوث وابتكروا وتوصلوا إلى ما لم يتوصل إليه غيرهم من نتائج وبذلك أبدعوا وجعلوا من هذ العلم عملاً متكاملاً يستند إلى ركائز وأسس علمية وتجريبية وليس إلى فروض نظرية وأوهام غير واقعية[22].

وقد اكتشف العرب الطيران على يد عباس بن فرناس الأندلسي، وهو كذلك أو من استنبط صناعة الزجاج من الحجارة، وأول من فك الموسيقى ووضع الآلة المعروفة بالمثقال ليعرف بها الأوقات على غير

[22]الغزال، على أحمد مُحَمَّد: الصراع الحضاري بين الغرب والإسلام، رسالة ماجستير من جامعة أم درمان الإسلامية نشرت بتاريخ 2006 صفحة 56 بتصرف

مثال، ومثل في بيته السماء بنجومها وغيومها وبروقها ورعودها تمثيلاً يخيل للناظر أنه حقيقة[23].

**المبحث الثاني: مظاهر الحضارة الإسلامية:**

**المطلب الأول: المظهر السياسي:**

**1– مصادر التشريع:**

مصادر التشريع في الإسلام أربعة أساسية:

**1– القرآن الكريم:**

وهو كلام الله عز وجل المنزول على النبي مُحَمَّد ﷺ، وهو دستور هدى للناس يهتدون بهداه، قال تعالى: ((قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)) المائدة 15–16 ، وغاية هذا الكتاب الإلهي المصدر سعادة البشرية ورفاهيتها، فقد قدم للإنسان فكرة امتزا ج الجسد والروح، وامتزاج الأرض والسماء، وامتزاج الدنيا بالآخرة، قال تعالى: ((وابتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ

[23]كردعلي، مُحَمَّد، الإسلام والحضارة العربية، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة سنة 2017 صفحة 200

وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)) القصص 77 ، وقد قام القرن الكريم على أسس ثلاثة:

1) عدم الحرج: ((وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)) الحج 78 .
2) عدم إثقال كواهل المسلمين بالأوامر والنواهي: ((لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ)) البقرة 286 .
3) تمجيد العقل بمخاطبته، والدعوة إلى التفكير السليم: ((أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)) الحج 46 .

**2– السنة النبوية:**

وهو قول النبي ﷺ وفعله وتقريره، ولقد أشاد القرآن الكريم ذاته بطاعة المسلمين لرسول الله ﷺ والتزام سنته، وقد انتهى العلماء المحققون إلى أن الحديث الصحيح حجة على جميع الأمة، قال تعالى: ((وما آتَاكُم الرَّسولُ فَخذُوه وما نَهاكُم عنْه فَانتَهوا)) الحشر 7 ، والسنة تفصيل لما أجمله القرآن الكريم، وتقييد لما أطلقه، وتخصيص ما ورد فيه من ألفاظ العوم، وتبيان المراد منه في جميع الأحوال، وتثبيت السنة أحكاماً لا يعرض لها القرآن الكريم بنفي ولا إثبات، وما تثبته السنة حينئذ من الأحكام لا بد أن أصله في كتاب الله.

**3– الإجماع:**

وهو اتفاق جميع المجتهدين في عصر من العصور على حكم شرعي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كان ذلك ميسوراً في عهد كبار الصحابة، لأن ذوي الرأي منهم كانوا موجودين في بلد واحد وهو المدينة المنورة، ولكنه بعد عصر الخلفاء الراشدين، وتفرق العلماء في الأمصار، أصبح بعيد الوقوع، وقد ذهب جمهور أهل السنة والجماعة إلى أن الإجماع حجة قطعية لما ورد في الحديث الشريف: (( لا تجتمع أمتي على ضلالة))[24].

**4– القياس:**

القياس تسوية واقعة لم يرد نص بحكمها بواقعة ورد نص بحكمها في الحكم الذي ورد به النص، لتساوي الواقعتين في علة هذا الحكم.

وقد استدل على حجية القياس بقوله تعالى: ((يا أَيُّها الَّذين آمنُوا أَطيعُوا اللَّه وأَطيعُوا الرَّسولَ وأُولي الْأَمْرِ منكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعتم في شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّه والرَّسُولِ إِن كُنتم تُؤْمنُونَ باللَّه والْيَوْمِ الْآخرِ ۚ ذَلكَ خَيْرٌ وأَحْسنُ تَأْويلًا)) النساء 59 ، وهذا الرد هو القياس، لأنه رد ما لا حكم فيه على نص فيه حكم للتساوي بين الواقعتين بعلة واحدة[25].

**2– نظام الحكم: الخلافة:**

[24] رواه الإمام أحمد (396/6)

[25] أبو خليل، شوقي: الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى سنة 1994 صفحة 213 بتصرف.

الخلافة مصدر خلف يقال: خلفه في قومه يخلفه خلافة فهو خليفة، ويطلق في العرف العام على الزعامة العظمى، وهي الولاية العامة على الأمة كافة، والقيام بأمورها والنهوض بأعبائها، وتكون الخلافة عن رسول الله فيقال: خليفة رسول الله ﷺ.

وحول اختيار الخليفة فالأمر متروك للمسلمين ليروا فيه رأيهم، والمسلمون كلهم متفقون على إقامة خليفة لرسول الله ﷺ، والشيعة تقول بأن الخلافة في بيت رسول الله ﷺ، والخوارج يقولون بالاختيار الحر يتولى الخلافة من تتوفر فيه شروطها، والمعتزلة يقولون بحرية إرادة الإنسان وأن الإمة تختار إمامها[26].

**3– الوزارة:**

جاءت كلمة وزير في القرآن الكريم: ((وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي)) طه 29 ، وهي تعني المشير والمؤازرة، وقد ظهرت منذ عهد النبي ﷺ، وكان أبو بكر وعمر وزيري النبي ﷺ، ثم عمر كان وزيراً لأبي بكر، ثم عثمان وعلي وزيري عمر، وعلي ثم مروان بن الحكم وزيري عثمان، وعمرو بن العاص وزياد وغيرهما وزراء معاوية.

وفي العصر العباسي سميت وزيراً وكانت من قبل تسمى مشيراً أو كاتباً، وكان أول من لقب بالوزارة في الإسلام أبو سلمة الخلال وزير أبي العباس السفاح[27].

[26] المرجع السابق صفحة 229

[27] أبو خليل، شوقي: الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، صفحة 245

**4– الإمارة:**

تم استعمال كلمة أمير في التاريخ الإسلامي في موضعين: أمير الجيش أي قائده، وأمير البلاد وهو يقابل المحافظ في لغة الإدارة اليوم، وكان الخليفة يدير الأمور في مقر الخلافة، أما في الأمصار فكان يديرها الأمراء وكانت الإمارة تعني ولاية الأمور الدينية والسياسية والحربية والقضائية والإدارية باستثناء جباية المال، فإذا جمع الأمير الصلاة والخراج كانت إمارته عامة، وإن قصروا إمارته على الصلاة، فهي إمارة خاصة[28].

**5– القضاء:**

كان النبي ﷺ يتولى القضاء بين الناس، وباتساع رقعة الدولة بعث علياً ومعاذ بن جبل إلى اليمن للقضاء، وتولى عمر القضاء في خلافة أبي بكر، وقد عين عمر في خلافته القضاة في كل الأمصار، لضمان حصانة القاضي في الولاية، ولبعده عن سلطة الوالي فيها، وبالتالي تحقيق العدل وإحقاق الحق، بعيداً عن سلطة الولاية التنفيذية.

وفي أيام الأمويين بدأ تسجيل الأحكام، وطلب عمر بن عبد العزيز من أمرائه أن يمتنعوا من إيقاع عقوبة القتل بمن يستحقها، إلا بعد عرض الأمر عليه، والحصول على موافقته.

[28] المرجع السابق صفحة 254

وفي أيام العباسيين ظهر منصب قاضي القضاة، وهو بمثابة وزير العدل اليوم، وأول من تولى هذا المنصب أبو يوسف، صاحب الإمام أبي حنيفة فكان لا يولى قاضي أو يعزل إلا بإشارته.

وقد تحقق في الحضارة العربية الإسلامية فصل السلطة القضائية عن بقية سلطات الدولة، ولم يجد القاضي حرجاً في إصدار حكم ضد الولاة، أو الخليفة نفسه[29].

**المطلب الثاني: المظهر الاقتصادي:**

**1– الزراعة:**

اهتم المسلمون بالزراعة وتقدمها، فقد ورد عن النبي ﷺ قوله: ((من أحيا أرضاً مواتاً فهي له))[30] ، وفي زمن الخلفاء الراشدين مسحت الأرضي، واحتفظت الحكومة بسجلاتها، وأنشأت عدداً كبيراً من الطرق وعنيت بصيانتها، وأقيمت الجسور حول الأنهار لمنع فيضانها، وكان كثير من أرض فلسطين قبيل الفتح رملاً وحجارة فأصبحت خصبة غنية عامرة بالسكان.

وفي عصر الأمويين أمر معاوية باستصلاح الأراضي البور، واهتم خلفاء بني أمية بتجفيف المستنقعات بين البصرة والكوفة وبنوا السدود في جبال عسير.

[29] أبو خليل، شوقي: الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، صفحة 279

[30] صحيح البخاري.

وفي عصر العباسيين كانت الحكومة تشرف على قنوات الري الرئيسية وتتعهدها بالصيانة والتطهير، فأوصلت ماء الفرات إلى أرض الجزيرة، وماء دجلة إلى أرض فارس، وشقت قناة كبيرة بين النهرين التوأمين عند بغداد، وكان خلفاء بني العباس يشجعون الأعمال الخاصة بتجفيف المستنقعات، وتعمير القرى المخربة التي هجرها سكانها[31].

**2– الصناعة:**

حض النبي ﷺ على تصنيع السلاح بأيد وطنية عربية، عن علي ﷺ قال: كانت بيد رسول الله ﷺ قوس عربية، فرأى رجلاً بيده قوس فارسية، فقال: ما هذه؟ ألقها وعليكم بهذه وأشباهها، ورماح القنا، فبهما يزيد الله لكم في الدين ويمكن لكم في البلاد.

لقد خص القوس العربية، لأن رقعة الدولة العربية الإسلامية كانت جزيرة العرب فقط، فروح الحديث الشريف تحص على تصنيع السلاح بيد وطنية، وفض المستورد منه والمتهم تصنيعه في أرض الإسلام وعدم الإعجاب والتعظيم والاعتماد على الأجنبي المستورد.

ولقد تم تصنيع أول منجنيق في الإسلام أثناء حصار الطائف، وعني الخليفة عمر بن الخطاب بالتصنيع الحربي، الذي جهز به جيوش الفتوح في بلاد الشام ومصر والعراق.

وتقدم التصنيع الحربي أيام العباسيين، فحسنوا المجانيق والدبابات، وتقدمت صناعة السفن وتعددت أنواعها، واستخرجوا المعادن كالذهب والفضة من مناجم المغرب ومصر والسودان

[31] أبو خليل، شوقي: الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، صفحة 377

والحجاز وكرمان وما وراء النهر وخراسان والحديد من مناجم الشام وفارس وكرمان، واللؤلؤ من مياه الخليج العربي، والعقيق من اليمن، والكبريت من غور فلسطين وفارس، والنفس والرصاص من فارس، والزئبق والفحم الحجري من مناجم ما وراء النهر[32].

**3– التجارة:**

ازدهرت التجارة وبلغت أوجها في العصر العباسي، لاتساع رقعة الدولة العربية الإسلامية، ولتنوع المنتجات لتنوع الأقاليم واختلاف سلعها، كما سهلت وحدة النقد المتداول التعامل التجاري، وسبب تدفق الثروات ارتفاع في مستوى المعيشة، ورقي الصناعة وتقدمها.

وشجع الخلفاء التجارة عندما حفروا الآبار، وأقاموا المحطات (الخانات) على طول طرق القوافل كما أنشؤوا المنائر في الثغور، وادى وصول التجار المسلمين الأول إلى سواحل إفريقية الشرقية والهند وسرنديب والملايو والصين إلى تنوع السلع في أسواق المدن الكبرى وإلى انتشار الإسلام حيث وصلت قدم التاجر المسلم[33].

**المطلب الثالث: المظهر الاجتماعي:**

جعل الإسلام غاية وجود الإنسان عمران الأرض، وعد هذا العمران عبادة، فنظرته إلى الإنسان نظرة تكريم، ويؤيد هذا التكريم النظرة الإيجابية للحياة منذ علم الله آدم الأسماء

[32] المرجع السابق صفحة 381

[33] أبو خليل، شوقي: الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، صفحة 383

كلها، فالإنسان في المجتمع الإسلامي مخلوق رائع أودعت به مواهب مدهشة، وطاقات عظيمة، مع تمتعه بحرية الاختيار.

في هذا المجتمع ألغى الإسلام رابطة العصبية القبلية المفرقة، التي كانت في المجتمع الجاهلي وأحل محلها رابطة العقيدة، قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)) الحجرات 13 ، وسوى أبو بكر بين الناس في القسم، فقيل لعمر في ذلك فقال: لا أجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه، فكان يقدم الأقرب فالأقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا استووا في القرابة قدم أهل السابقة حتى انتهى إلى الأنصار، فقالوا: بمن نبدأ؟ قال: ابدؤوا برهط سعد بن معاذ ثم الأقرب فالأقرب إليه[34].

بدأ التمييز بين المسلم العربي، والمسلم الأعجمي أيام الأمويين وعادت العصبية وعاد معها النزاع القبلي ما بين يمنيين وقيسيين، وأصبح المجتمع العربي أيام الأمويين يتألف من:

أ– العرب: وهم أصحاب الحكم والقيادة، ولكنهم منقسمون إلى يمنيين وقيسيين.

ب– الموالي: وهم المسلمون الأعاجم وجلهم من الفرس، الذين أظهر بعضهم شعوبية أرادوا منها المساواة حسب تعاليم الإسلام، واتجه بعضهم إلى الثورة والسيف.

[34] طبقات ابن سعد، المجلد الأول صفحة 213

ت– الرقيق: ومصدره أسير الحرب معاملة بالمثل، لأن الإسلام شرع العتق، وحرم نظام الرق بأنواعه، ولم يبح منه إلا ما هو مباح اليوم في نظام الأسرى، وتسخيرهم في أعمال جسدية مع وصية رسول الله ﷺ بمعاملتهم بالخير، ريثما يتحرروا بتبادل الأسرى، أو المن على الأسرى من غير مقابل، أو بالعتق، أو بالمكاتبة، أو التدبير.

ث– أهل الذمة: وهم غير المسلمين الذي تمتعوا بحرية تامة مع حماية لأنفسهم ومعابدهم.

وفي زمن العباسيين عاد التوازن بين العرب والفرس اجتماعياً ولكن ظهور الأتراك منذ أيام المعتصم أوجد منافساً سيطر على الخلافة والحكم، وعرف المجتمع الأندلسي صراعاً بين قيسية ويمنية وبين عرب وبربر، وعرفت فيه شريحة من الإسبان الذين أسلموا[35].

وقد قرر الإسلام المساواة بين الرجل والمرأة في كل شيء، ((هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ))البقرة 187 ، ((وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)) البقرة 228 ، وهذه الدرجة إما درجة النبوة، وإما درجة صبره عليها إن غضبت، وأرجح الأقوال: درجة المسؤولية عن أسرة وحمايتها والإنفاق عليها، فالقوامة وظيفة داخل كيان الأسرة لإدارة هذه المؤسسة الخطيرة، ووجود القيم في مؤسسة ما لا يلغي وجود حقوق الشركاء فيها، والعاملين في وظائفها، ولقد حدد الإسلام صفة قوامة الرجل وما

[35] أبو خليل، شوقي: الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، صفحة 294

يصاحبها من لطف ورعاية وصيانة وحماية، مع تكاليف في نفسه وماله، وآداب في سلوكه مع زوجه وعياله، فالسمة المسيطرة على هذه المؤسسة الصغيرة، هي سمة المودة، قال تعالى: ((ومِنْ آياتِه أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْواجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)) سورة الروم 21 ، وللمرأة حق اختيار زوجها، فهي بذلك تختار القيم عليها.

ويشرع الإسلام تشريعاً مثالياً، كما يشرع لمن لا يقوون على الوصول لهذه الغاية المثلى، فالزوجة الواحدة هي الأصل في الإسلام، وجعل الزوجة الثانية لأسباب منها العقم والمرض المزمن والحروب.. فالإسلام أباح التعدد ولم يأمر به، أباحه لضرورات ولم يجعله فرضاً.

والطلاق أبغض الحلال إلى الله، لأن الزواج ميثاق غليظ فلا يقع الطلاق إلا إذا استحالت الحياة الزوجة بين الزوجين، والإيمان عاصم، والعقيدة ملزمة لدى كل من الطرفين، وهي السبيل إلى مراعاة حدود الله وأحكام الشرع، فلا يصح الالتجاء إلى الطلاق لأسباب يمكن أن تتغير في المستقبل[36].

**المطلب الرابع: المظهر الفكري:**

**1– التنوع الفكري:**

[36]المرجع السابق صفحة 295

شهدت الحضارة الإسلامية تنوعاً في الفكر، فلم يكن هناك اتجاه واحد غالب طيلة عصوره المختلفة، ومع أن السواد الأعظم من الأمة هم على مذهب أهل السنة والجماعة، إلا أن في فترات كثيرة ظهرت العديد من الفرق والمذاهب والتي بدأ ظهورهامنذعصر صدر الخلافة الراشدة وامتد حتى كثرت في القرنين الثاني والثالث الهجريين، ومن أسباب ظهور هذه الفرق الدينية:

**أ– السبب السياسي:**

فبعد وفاة النبي ﷺ اختلف الأنصار والمهاجرين في البداية حول أحقية الخلافة ولكنهم اتفقوا على أبي بكر ، ثم اشتد الخلاف حول الخلافة بعد ذلك وظهر الخوارج والشيعة وغيرهم.

**ب– ورود المتشابه في القرآن الكريم:**

قال تعالى: ((هُوَ الَّذي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ منْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ منْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ في الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)) آل عمران 7 ، واختلف العلماء في تفسير الآيات المتشابهة، فمنهم من توقف فيها، ومنهم من أولها، والمؤولون اختلفوا

في تأويلها، كاختلافهم في تفسير النصوص القرآنية والأحاديث الشريفة الأخرى، واختلافهم في إمكانية الجمع بينهما.

**ت– ترجمة كتب الفلسفة والمنطق:**

وهذا أدى إلى ظهور المناهج الفلسفية في إثبات العقيدة الإسلامية ودراستها، كما هو الحال عند المعتزلة والأشاعرة والماتريدية ومن وافقهم، الذي استخدموا الأقيسة المنطقية والدراسات الفلسفية، التي كانت مثار نقاش عند الرافضين لها من رجال المدرسة السلفية والرافضين لدراسة المنطق والفلسفة.

والمنهج الفلسفي جرهم إلى دراسة مسائل لا يستطيع العقل البشري أن يقرر نتائجها كمسألة صفات الله تعالى، ومسألة قدرة العبد بجوار قدرة الرب، والبحث فيها يجر إلى اختلاف النظر لا محالة.

**ث– مجاورة المسلمين لكثير من أهل الديانات السابقة:**

دخل في الإسلام أناس من المشركين واليهود والنصارى والمجوس وغيرهم، وأثاروا بين المسلمين ما كان يثار في ديانتهم من معتقدات في الجبر والاختيار وصفات الله تعالى وغيرها.

ومن هؤلاء من حسن إسلامه، لكن كان يعرض أفكاره ملتمساً الفهم فقط، ومنهم من دخل في الإسلام ظاهرياً كالزنادقة، يريدون إفساد عقيدة المسلمين، وإبطال دينهم، فكان ذلك سبباً في تشعب الآراء وظهور الفرق[37].

وباختصار سأذكر أهم الفرق الدينية:

**1– الخوارج:**

هم الذي خرجوا على الإمام علي كرم الله وجهه بعد قبوله التحكم في واقعة صفين، وقد انقسموا إلى فرق كثيرة، أبرزهم: المحكمة الأولى، والإباضية، والازارقة.

**2– الشيعة:**

وهم الذين شايعوا علياً كرم الله وجهه على الخصوص، وقالوا بإمامته نصاً ووصية، إما جلياً وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، ومن أبرز فرقهم: الزيدية والإمامية الاثني عشرية والإسماعيلية.

**3– المرجئة:**

[37]الدوري، قحطان: العقيدة الإسلامية ومذاهبها، كتاب ناشرون لبنان، الطبعة الخامسة، سنة 2016 صفحة 44

هم الذين يقولون لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة، فهم يرجون لأصحاب المعاصي الثواب من الله، وكذلك يؤخرون صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة فلا يقضى عليه بحكم في الدنيا من كونة من أهل الجنة أو من أهل النار، ومن أبرز من قال بالإرجاء: غيلان وأبي شمر وجهم بن صفوان وبشر المريسي.

**4– القدرية:**

وهو الذين يقولون بالقدر، أي إسناد أفعال العباد إلى قدرهم، فالعباد هم الذين يخلقون أفعالهم ويختارونها، ومن أبرز من قال بالقدر معبد الجهني.

**5– المعتزلة:**

وهم الذين يقولون بأن صاحب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين فلا مؤمن ولا كافر، وكذلك يؤمنون بالأصول الخمسة، ومن أبرز رجالهم: واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والقاضي عبد الجبار.

**6– أهل السنة والجماعة:**

وهم الذين يتبعون سنة النبي ﷺ وجماعة الصحابة الكرام والأئمة الفقهاء وأهل الحديث والرأي، وهم السواد الأعظم من المسلمين[38].

**2– حركة التعريب والترجمة والتأليف:**

[3838] الدوري، قحطان: العقيدة الإسلامية ومذاهبها، من صفحة 54 إلى صفحة 210 بتصرف

بدأت الحركة الفكرية تنمو عندما استقر الإسلام في المدن التي فتحها، ووصلت أوج الازدهار الفكري زمن العباسيين، وهناك عوامل ساعدت على ازدهار الحياة الفكرية في الحضارة الإسلامية منها:

**1– أهمية العلم:**

تأكيد الإسلام على أهمية العلم منذ أن نزلت أول كلمة على قلب رسول الله ﷺ اقرأ، ورفع الله سبحانه من مكانة العلم عندما أقسم بالقلم قائلاً: ((ن ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ)) سورة القلم 1 .

**2– حركة التعريب والترجمة:**

والتي حدثت بدءاً من زمن عبد الملك بن مروان، واطلاع المسلمين على حضارات البلاد التي فتحت، فازدهرت حركة الترجمة ونقل المعارف لينتقلوا بعدها إلى الإبداع ومن النقل إلى الاصطفاء والنقد، مع طرح البدائل المشفوعة بالحجج والبراهين، فبعد اطلاعهم على الفلسفات اليونانية والهندية والفارسية، جابهوا خصومهم بالمنطق وقارعوهم بالحجة مما أدى إلى ظهور كوكبة من العلماء في مختلف المجالات ومنهم: الغزالي وابن سينا وابن رشد والفارابي وابن الهيثم والكندي والبيروني والخوارزمي وابن النفيس وابن خلدون وغيرهم.

**3– التأليف:**

ظهرت الكتب والموسوعات الكثيرة من مجالات شتى منها التفسير والفقه والأصول والحديث والتاريخ والجغرافيا والفلسفة على يد كثير من العلماء مثل: الشافعي وابن قدامة ابن سعد والسرخسي وابن منظور والطبري وابن الأثير وابن سينا والفارابي والنووي وابن حجر العسقلاني والسيوطي وغيرهم.

**4– المكتبات:**

أقبل الناس في هذه الحضارة على اقتناء الكتب لازدهار صناعة الورق في كل من سمرقند وبغداد والقاهرة والأندلس.. ومنها مكتبات عامة ملحقة بالمساجد والمدارس ومنها مكتبات خاصة شخصية في البيوت ومكتبات عامة وخاصة مقتصرة على طبقة من العلماء والطلاب والباحثين.

منها مكتبة بيت الحكمة في بغداد، ومكتبة دار الحكمة ومكتبة العزيز في القاهرة، ومكتبة قرطبة ومكتبة سيف الدولة والخزائن النورية بدمشق وغيرها[39].

**المطلب الخامس: المظهر الفني:**

**1– بناء المدن:**

بنى المسلمون مدناً عديدة في وقت مبكر من فتوحاتهم، وكان أول ما يفعلونه بعد اختيار موقع المدينة المرد بناؤها، أن يختطوا المسجد الجامع، ودار الإمارة ومن حولهما حي لكل

[39] أبو خليل، شوقي: الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، صفحة 448

قبيلة، كان يدعى القطيعة، وفي كل قطيعة منازلها ومسجدها وسوقها، ومن المدن التي أنشأها المسلمون:

أ- **البصرة:** بنيت بعد فتح سعد بن أبي وقاص الحيرة، فقد كتب إليه عمر بن الخطاب أن يبعث عتبة بن غزوان إلى أرض الهند، فلينزلها ويجعلها قيروانا للمسلمين، فخرج عتبة من الحيرة في ثمانمائة رجل، حتى نزل موضع البصرة، فلما افتتح الأبلة، اختط فيها المسجد ودار الإمارة وقسم المدينة بين القبائل.

ب- **الكوفة وواسط:** مصرت بعد البصرة في سواد العراق سنة 17 للهجرة، وبنى الحجاج بن يوسف الثقفي واسط سنة 83 في مكان وسط بين البصرة والكوفة.

ت- **الفسطاط:** بدئ في بنائها في ربيع سنة 20 للهجرة، عندما أجمع عمرو بن العاص المسير إلى الإسكندرية، وأمر بفسطاطه أن يقوض، فإذا بيمامة قد باضت في أعلاه، فقال: لقد تحرمت بجوارنا، أقروا الفسطاط حتى تنقف وتطير فراخها، فأقر فسطاطه، ووكل به من يحفظ أن لا تهاج، ومضى إلى الإسكندرية، وأقام عليها ستة أشهر، حتى فتحها الله عليه، فكتب إلى عمر بن الخطاب يستأذنه في سكناها، فكتب إليه: لا تنزل بالمسلمين منزلاً يحول بيني وبينهم فيه نهر ولا بحر، فقال عمرو لأصحابه: أين ننزل؟ فقالوا: نرجع أيها الأمير إلى فسطاطك، فنكون

على ماء وصحراء، فقال للناس: نرجع إلى موضع الفسطاط، فرجعوا وجعلوا يقولون: نزلت عن يمين الفسطاط وشماله، فسميت البقعة بالفسطاط.

ث- **القيروان:** بناها عقبة بن نافع سنة 50 للهجرة، اختط وسطها المسجد الجامع، ثم دار الإمارة ثم بيوت الجند.

ج- **بغداد:** مدينة السلام، بناها أبو جعفر المنصور العباسي سنة 145 للهجرة، ونزلها سنة 149 للهجرة، على شاطئ دجلة لتكون عاصمة للخلافة.

ومن المدن كذلك، فاس وقرطبة والقاهرة ومراكش وغيرها[40].

**2- المساجد:**

وهي أهم مكان تتمثل فيه العمارة الإسلامية والفن الإسلامي معاً، ولقد كانت المساجد الأولى من البساطة بمكان، من حيث البناء والمظهر، ثم أخذ المسلمون يعتنون بها فيوسعون مساحاتها ويبنونها بالحجارة والأعمدة، ويزينونها لتلائم ما وصلوا إليه من عزة وقوة وسعة. وأول مسجد في الإسلام مسجد قباء الذي بناه النبي ﷺ من الآجر والحجارة عام الهجرة، ويرتكز سقفه المصنوع من الجريد والأغصان على جذوع النخل، وهو أول نموذج للمساجد الإسلامية، ومن أهم المساجد التي بنيت في العصور الإسلامية:

[40] أبو خليل، شوقي: الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، صفحة 553

أ– **مسجد الرسول ﷺ في المدينة المنورة:** بناه عند وصوله المدينة المنورة مهاجراً، وجدد بناءه عمر وعثمان، ثم أعاد إنشاءه الوليد بن عبد الملك.

ب– **مسجد قبة الصخرة:** بناه عبد الملك بن مروان تخليداً لذكرى الإسراء.

ت– **المسجد الأموي في دمشق:** من أكبر مساجد العالم الإسلامي، بناه الوليد بن عبد الملك.

ث– **جامع القيرون:** جامع سيدي عقبة، بناه عقبة بن نافع عندما خط مدينة القيروان.

ج– **مسجد قرطبة:** بناه عبد الرحمن الداخل ليضاهي مساجد الشرق سعة وعمراناً وعظمة.

ويعد العصر المملوكي في بلاد الشام ومصر عصراً ذهبياً لتاريخ العمارة الإسلامية، لقد تنوعت العمائر من مساجد ومدارس وأضرحة وحمامات وأسبلة وخانات، مع إتقان وأناقة وخصوصاً في الواجهات والمنارات والقباب، وفي الزخارف الجصية والرخامية، حتى المنبر تحول من الجص والخشب في العصر الفاطمي، إلى رخام أصبح الخامة الأساسية في البناء والزخرفة، مع أشغال النجارة الدقيقة، وأعمال الخراطة والتطعيم بالصدف والعاج والأبنوس التي غطت المنابر والأبواب والشبابيك، وظهرت السقوف مموهة بالذهب بدرجة رفيعة من

الإتقان والتأنق والجمال، ومن مساجد هذه الفترة: مسجد الظاهر بيبرس في القاهرة، ومسجد السلطان حسن، ومسجد المنصور قلاوون[41].

**3– القصور:**

بنى معاوية أول قصر أموي في بلاد الشام ويسمى قصر الخضراء، وسمي بعدها دار الإمارة لأن الخلفاء الأمويين توارثوه من بعده، ويعد قصر المشتى في البلقاء من أهم الآثار الشامية الإسلامية، حيث يمثل الشخصية الفنية في بلاد الشام، وخصوصاً في الزخارف المؤلفة من أشكال الحيوان والطيور، والأشكال الآدمية، صيغت وسط تفريعات من أغصان الكرمة، أما قصر عمرة والذي تم اكتشافه عام 1898 تكاد الصور الجدرانية تغطي جميع جدرانه فقد بناه الوليد بن عبد الملك في الأردن، وبنى قصر المنية قرب بحيرة الناصرة في فلسطين وقصر أسيس في جنوب شرقي دمشق.

وفي عام 1970 أعلن الأثري بن دوف مساعد الأثري مازار عن اكتشاف ثلاثة قصور أموية في حي المغاربة في القدس، وذلك خلال الحفريات التي بدأها مازار سنة 1968 لتوسيع حائط المبكى، والكشف عن هيكل سليمان، ويقول بن دوف: إن هذه القصور

[41] أبو خليل، شوقي: الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، صفحة 563

طبق الأصل لما وجد في قصور الأردن وفلسطين، وأعلن مازار في تقريره، أن الجدار الجنوبي للأقصى الذي يقوم فوق الصخر الطبيعي شرقاً وغرباً هو بناء إسلامي[42].

**4– الخط:**

عندما خشي المسلمون من ضياع القرآن بسبب موت الكثير من الحفاظ من الصحابة والتابعين، لجؤوا إلى كتابة القرآن الكريم لحفظه بأمر من الخليفة عثمان عندما أمر أن تجمع نسخة زيد بن ثابت مع الأجزاء والشذرات الأخرى من سور القرآن الكريم، وصاحب هذا حاجة إلى تحسين الخط وتهذيب رسمه ليسهل قراءته، وقد تطور الأمر ليشمل الكتابات الأخرى غير القرآن الكريم، ومن أشهر الخطاطين زيد بن ثابت، وعلي بن أبي طالب، وأبو الأسود الدؤلي، وقطبة المحرر، وخالد بن هياج وغيرهم، ومن الخطوط الخط الكوفي وخط الثلث والنسخ والمغربي والقيرواني والأندلسي وغيرها[43].

**المبحث الثالث: مقارنة الحضارة الإسلامية بالحضارات الأخرى:**

تتميز كل حضارة من الحضارات الإنسانية بطابع خاص يميزها عن غيرها، سواء في العقائد أو الأفكار أو الطقوس أو المظاهر الاجتماعية المختلفة، ولقد تميزت الحضارة الإسلامية عن غيرها من الحضارات بعدة خصائص من أهمها اعتمادها على الدين الإسلامي والذي

[42] المرجع السابق 569

[43] الفاروقي، إسماعيل، الفاروقي، لويس لمياء، أطلس الحضارة الإسلامية، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى سنة 1998 صفحة 511

حفظه الله بالحفظ وعدم التعرض للتبديل والتحريف، وكذلك مراعاته لجوانب الإنسان العقلية والروحية والجسدية، فلا إفراط ولا تفريط، أما الحضارات الأخرى فإنها اهتمت بجانب وأهملت جانباً، أو تميزت بجانب وتخلفت في جانب آخر، ومن خلال هذا المبحث سنتعرف على أهم الفروقات بين الحضارة الإسلامية وغيرها من الحضارات.

**المطلب الأول: مقارنة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية:**

يتبادر إلى أذهاننا بأن الحضارة الغربية قائمة على أسس مسيحية واعتبارها حضارة قائمة على المبدأ المسيحي، ولكن عند التدقيق نجد بأن الحضارة الغربية الحديثة في أصولها وجذورها هي خلاصة التصورات الأوروبية القديمة، ورواسب من التصورات اليونانية والرومانية، ومسيحية القرون الوسطى المحرفة، مضافاً إليها ما أنتجه فلاسفة الحضارة الغربية وعلمائها ومفكريها.

والدين المسيحي الذي كانت تفرضه وتعممه الكنيسة كان متفرداً وغير صالح للحياة، بسبب المبالغات والتحريف الذي خالف التعاليم الروحية التي تدعو إلى تهذيب النفس والتواضع وعدم الاستكبار والذي كانت تدعو إليه التعاليم المسيحية الصحيحة.

والمبالغة التي فرضتها الكنيسة في صورة الرهبانية لم تكن صالحة للحياة السوية، والفساد المستشري فيها والطغيان الذي مارسه الرهبان ورجال الكنيسة يتمثل في النقاط التالية:

أ– **طغيان علمي**: فرض أفكار علمية مغلوطة ومحاسبة كل عالم جاء بنظرية تخالف نظرة الكنيسة.

ب– **طغيان ديني**: التسليم المطلق بما تنادي به الكنيسة وعدم الدخول في مناقشات دينية وعقلية.

ت– **طغيان مالي**: إلزام الناس بدفع أموال طائلة للكنيسة والتي يستفيد منها رجال الدين في الأهواء والملذات المحرمة[44].

وبعد ظهور المفكرين والثوار والعلماء في وجه الكنيسة منذ القرن السادس عشر الميلادي، تم نبذ الفكر الكنسي وحل محله الفكر الحر المستنير والقائم على:

أ– تصور عقائد عن الكون والإنسان والحياة والغيب يستمد أصوله من التصور الإغريقي والروماني، لأن الحضارة الأوروبية مشاركة معها في الأفكار التالية: الإيمان بالمحسوس، وقلة الاعتداد بالدين واقتصاره بين جدران الكنيسة، والنزعة العرقية وشدة التمسك بها، والميل الشديد إلى اللذة والمتاع.

ب– تصور علمي تجريبي تبني عليه منهجها العلمي والتقدمي، واستفادت من الفكر الإسلامي واقتبسته منه.

[44] المساعيد، مُحَمَّد عطا فنير: دور العقيدة في البناء المعرفي للحضارة الإسلامية، رسالة دكتوراه من جامعة العلوم الإسلامية العالمية الأردن، سنة 2019 صفحة 104

والحضارة الغربية لم تقم على دين أو عقيدة ولم تأخذ من التعاليم المسيحية الحقة، وافتقدت إلى التصور الصحيح عن الإنسان، واهتمت بالجانب المادي له من منجزات وصناعات، وهذه المزايا غير كافية لأن الحياة الروحية في الحضارة الغربية تكاد تكون معدومة وتتحول إلى حضارة وثنية تعبد المادة وتستبعد الدين من الحياة وتجعل الرقي المادي هو هدفها الوحيد، وجحد كل شيء ما وراء المادة.

وقد لخص الدكتور عبد الكريم بكار منطلقات الحضارة الغربية المتمثلة في:

أ– عد العقل الإنساني غير محدود، وهو قادر على معرفة المادة الطبيعية والسيطرة عليها، وستظل المعرفة الإنسانية تتراكم بشكل مطرد وبلا نهاية.

ب– الموارد الطبيعية في الكون غير محدودة، ولا يمكن أن تفنى باعتبار أن المادة لا تفنى.

ت– المجتمعات الغربية تمثل ذروة التطور، وهي النموذج الحضاري الذي ينبغي أن يحتذى.

ث– العائد الإيجابي للتقدم المادي أكثر من العائد السلبي، وعملية التقدم ليس لها غاية إنسانية أو مضمون أخلاقي[45].

[45] المساعيد، مُحَمَّد عطا فنير: دور العقيدة في البناء المعرفي للحضارة الإسلامية، صفحة 109 ، وكلام الدكتور بكار من كتابه من اجل انطلاقة حضارية شاملة، دار القلم دمشق صفحة 46

وهذه المنطلقات تخالف الحضارة الإسلامية التي تستند في جانبها المعرفي إلى القرآن والسنة النبوية، وتعتبر العقل محدوداً وغير قادر على الوصول إلى معرفة صادقة عما وراء العالم المشاهد، والحضارة الإسلامية وجهت في جانبها المعرفي الإنسان إلى ضرورة المحافظة على الموارد الطبيعية في الكون لأنها خلقت محدودة، ويجب عدم الإسراف فيها قال تعالى: ((وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ)) الأعراف 31 ، والتقدم المادي في الحضارة الإسلامية يستند إلى غاية مستمدة من العقيدة الإسلامية وهي تحقيق مبدأ الخلافة وعمارة الأرض قال تعالى: ((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)) البقرة 30 ، وكل منجز مادي يؤديه الإنسان بهدف تحقيق مبدأ الخلافة وإرضاء الله فهو عبادة[46].

**المطلب الثاني: المقارنة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الهندية:**

تعد الحضارة الهندية من الحضارات الأكثر اتساعاً وقدماً، فهي ممتدة منذ مئات السنين إلى يومنا هذا، ويجمع أديانها بأنها تشترك في رؤية دينية واحدة للكون مع الاختلاف النسبي بينها، فهي كونت رؤية دينية لا تعتمد على فكرة الألوهية وبخاصة في شكلها الذاتي الشخصي، وطورت لنفسها فهماً للخلاص الديني، وتفكيرها ليس تفكيراً دائرياً وإنما تفكير طولي، ومن ثم فالشعور بالزمن لا حدود له، وتركز التفكير على الاهتمام بحل أسرار الحياة

[46] المساعيد، مُحَمَّد عطا فنير: دور العقيدة في البناء المعرفي للحضارة الإسلامية، صفحة 109

وألغازها الأبدية، والميل إلى التفكير الفلسفي التأملي الذي يهجر فيه الإنسان عالمه الواقعي المحدود للخروج من عالم الوهم والظلمة والموت إلى عالم الحقيقة والنور والحياة[47].

وقد قامت الحضارة الهندية في بعض مراحلها على نظام الطبقات الاجتماعي والذي عقدته الديانة الهندوسية وربطت به الدين بالمجتمع، وهذه الطبقات هي:

1) **طبقة البراهما**: وهم الذين خلقهم الإله براهما من فمه، وهم رجال الدين الكهنة.
2) **طبقة الكاشتر**: وهم الذي خلقهم الإله من ذراعيه، وهم الملوك وقادة الجيش وأصحاب الرأي.
3) **طبقة الويش**: وهم الذين خلقهم الإله من فخذه، وهم المزارعون والتجار والصناع.
4) **طبقة الشودرا**: وهم الطبقة الفقيرة طبقة الخدم والعبيد[48]المحرومة من أبسط الحقوق لأن الإله خلقهم من رجليه.

وقد جاءت البوذية لتحارب نظام الطبقات الاجتماعي ووضعت شرطاً بأن كل من أراد الدخول إلى البوذية عليه أن يبطل نظام الطبقات، لأن الرهبانية التي دعا إليها بوذا يتساوى

[47]حسن، مُحَمَّد خليفة، تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة، دار الثقافة العربية بلا رقم طبعة ، سنة 2002 صفحة 53

[48]حسن، مُحَمَّد خليفة، تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة، صفحة 61

بها كل البشر، ولكن رغم إنكارها لنظام الطبقات إلا أن البوذية جعلت ذلك متوقف على الدخول في البوذية ولم يدع بوذا للمساواة في حد ذاتها.

في حين نرى بأن الحضارة الإسلامية فقد نادت بالمساواة بين جميع البشر على اختلاف ألوانهم وأنسابهم وأديانهم، قال تعالى: ((يا أَيُّها النَّاس إِنَّا خلَقْناكُم مِّن ذَكَرٍ وأُنثَى وجعلْناكُم شُعوبا وقَبائل لتعارفُوا ۚ إِنَّ أَكْرمكُمْ عند اللَّه أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّه عليم خبير)) الحجرات 13 ، وقال رسول الله ﷺ : (يا أيُّها الناس إنَّ ربَّكم واحدٌ ألا لا فضل لعربيٍّ على عجميٍّ ولا لعجميٍّ على عربيٍّ ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلَّا بالتَّقوى إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم)[49].

والملاحظ بأن الآية القرآنية والحديث الشريف يخاطب جميع الناس وليس فئة محددة فقط، فالناس جميعاً ينحدرون من أصل واحد وأم وأب واحد ولا معنى للتفاوت بين البشر والطبقية[50].

والحضارة الإسلامية لم تهمل الدنيا ولم تنظر إليها نظرة شؤم وشقاء كما فعلت الحضارة الهندية والتي حرمت الإنسان من التعبير عن غرائزه وشهواته، وإنما عدت الدنيا دار فلاح

[49] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان.

[50] المساعيد، مُحَمَّد عطا فنير: دور العقيدة في البناء المعرفي للحضارة الإسلامية، صفحة 102

وعمل وعدم إهمال الجوانب الغريزية التي لدى الإنسان قال تعالى: ((وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا)) القصص 77 ، وضبطها وفق ضوابط محكمة تجعله يتحكم بها ولا تتحكم هي به.

**المبحث الرابع: الحضارة الإسلامية بين التحديات والمستقبل:**

**المطلب الأول: الحضارة الإسلامية والتحديات المعاصرة:**

تواجه الحضارة الإسلامية اليوم تحديات كبيرة تهدف إلى إثارة الشبهات والشكوك، والمغالطات الجدلية، والتي تؤدي دوراً خطيراً في حلبة الصراع الفكري أو ما يسمى بالغزو الفكري والثقافي، فسلاح الثقافة والفكر يعد من أخطر الأسلحة فتكاً وأبلغها أثراً.

وهذه التحديات متعددة الجوانب ومختلفة المصادر ولكنها تحافظ على نفس الهدف ألا وهو محاربة الحضارة الإسلامية ومحاولة هدم الإسلام ومحوه من نفوس الناس، ومن هذه التحديات:

**1– التحدي العقدي:**

ويتمثل هذا التحدي في إنكار الإله والدين، ورائده التيارات الإلحادية والنزعات المادية في الفكر الغربي والفكر الماركسي الشيوعي، والتي تروج لفكرتين هما:

أ– إنكار وجود الإله وعدم أهمية الدين وإنكار وظيفته.

ب– اقتصار الدين ووظيفته على العلاقة بين العبد وربه، وعزل الدين عن شؤون الحياة[51].

وقد لقت هذه الأفكار رواجاً في عصرنا الحالي وخصوصاً مع ظهور وسائل التواصل الاجتماعي وكثرة تداول المقاطع والأفلام التي تحتويها هذه الأفكار بشتى الطرق.

**2– التحدي العلمي:**

يشهد العالم الآن تطوراً كبيراً في عدة مجالات كالتكنولوجيا والعلوم بمختلف مجالاتها مما جعلت الفرد ينظر بذهول وتعجب إلى هذا التقدم وتجعله يتابعه باستمرار لفهم ما يدور حوله في العالم، وهذا التقدم الذي حدث على أيدي العلماء جعله ينظر بانبهار إلى العلم، ولكن تكمن الخطورة في ربط العلم بالإلحاد وأن أكثر العلماء معرفة هم أشدهم إلحاداً، مع أن العكس صحيح، ففي بحث نشره الدكتور دنبرت الألماني وصل إلى أن 92 % من كبار العلماء هم ممن يعتقدون بوجود الله تعالى، فهذه النسبة الكبيرة تدل دلالة صريحة على أن التناقض بين الإيمان والعلم الذي يزعم الماديون أنه وصف مميز للعلماء ليس له أصل وتشير أيضاً إلى أن الإيمان والعلم يتكاملان ولا يتنافيان[52].

[51] القاضي، نصر الدين مصباح، منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة، صفحة 196

[52] القاضي، نصر الدين مصباح، منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة، صفحة 225

وفي الحضارة الإسلامية نجد علماء كثر جمعوا بين العلم والإيمان وعلى رأسهم ابن الهيثم والخوارزمي وابن النفيس والبيروني وغيرهم.

**3– التحدي الأخلاقي:**

ظهر تحدي الأخلاق الذي يحمله الفكر الغربي من عدة نواحٍ، كلها تصطدم بفكرة الالتزام الخلقي في الإسلام، فالمذهب المادي يرى بأن المجتمع هو الذي ينشئ الأخلاق لخدمة مصالح الطبقة الحاكمة والتي تملك الثروة وتسيطر على وسائل الإنتاج، كما أنه ليس في أصل الفطرة الإنسانية كما يرى هذا المذهب، ما هو خير أو شر، إلا حينما يتعلق بمصلحة الطبقة الغالبة أو بما يوافقها[53].

**المطلب الثاني: مستقبل الحضارة الإسلامية:**

إن المتأمل في حال الأمة الإسلامية في وقتنا الحالية ستوقفه ظاهرتان أساسيتان يجب الالتفات إليهما والتسليم بوجودهما قبل التوجه لعرض أي مشروع نهضوي يعيد الأمة إلى سابق عهدها:

أ– **الظاهرة الأولى:** هي المفارقة الهائلة بين مبادئ الدين الإسلامي الحنيف وقيمه وتشريعاته ونظمه، وبين واقع المسلمين الحالي الذي لا تزال الأمية هي الغالبة على

[53]القاضي، نصر الدين مصباح، منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة، صفحة 268

كثير من أقطارها، والمستوى الثقافي فيها يدنو إلى درجة من التدني تحول بينها وبين أن تقدم للبشرية شيئاً جديداً نافعاً.

ب- **الظاهرة الثانية:** هي حالة الجفاء والخصام والتباعد بين المسلمين أنفسهم وبينهم وبين سائر شعوب العالم، وهذا يؤثر في سير الحضارة الإسلامية نحو التقدم والازدهار في عصرنا هذا، وحتى يتحقق ذلك يجب أن يصلحوا ذات بينهم ويصححوا علاقاتهم مع الآخرين، وهذا يتطلب أولاً نفخ الروح في ذاكرة الأمة، وإيقاظها من غفوتها، وتبصيرها بدورها المنوط بها في قيادة الأمة، وتقديم نفسها كبديل للحضارات القائمة والتي أخرجت كل ما في إمكاناتها من أفكار أرضية قاصرة[54].

والأمة الإسلامية تمتلك رصيداً حضارياً كبيراً وعليها أن تحدد موقعها بدقة من مسيرة الحضارة المعاصرة، وتدرس الفراغ الكبير الذي تعاني منه تلك الحضارة، لتتمدد فيه وتقدم قيمها ورسالتها وروحها الحضارية الإنقاذية لحركة الحضارة المادية، مستلهمة رسالات النبوة التي تحملها للعالمين[55].

[54] رحمة، بكري عمر، مستقبل الحضارة الإسلامية، مجلة الدراسات الإنسانية كلية الآداب والدراسات الإنسانية جامعة دنقلا، العدد 9 يناير سنة 2013 صفحة 86

[55] المرجع السابق صفحة 98

وقد تنبأ بعض المفكرين وفلاسفة الحضارة بحتمية زوال الحضارات لأنها تصل إلى مرحلة الانهيار والاختفاء التام أو الجزئي كما حدث مع بعض الحضارات السابقة، إلا أن هذا لا ينطبق على الحضارة الإسلامية لأنها إيماناً منا بأنها حضارة قائمة على أسس إلهية خصها المولى سبحانه وتعالى بالاستمرارية دوناً عن الحضارات الأخرى.

**الخاتمة وأبرز النتائج:**

في الختام سأذكر أبرز النتائج التي توصلت إليها خلال البحث:

1- الحضارة الإسلامية هي جميع ما قدمته للمجتمع الإنساني من قيم ومبادئ وقواعد ترفع من شأنه، وتمكنه من التقدم في الجانب المادي، وتيسر الحياة للبشر، وفي معنى آخر هي كل ما جاء به الإسلام لخدمة البشرية كلها في مجالات العقيدة، والعلوم، والسياسة، والاقتصاد، والتربية، وغيرها، حتى يستطيع الإنسان القيام بمهامه التي كلفه الله بها في هذه الحياة الدنيا على الوجه الأكمل.

2- من خصائص الحضارة الإسلامية: التوحيد، وخلافة الإنسان على الأرض، والعالمية والحيوية فهي تتسع لجميع الأمم والأجناس وليست لجنس واحد فقط، وأنها تتخذ موقف الوسطية النابع من عقيدة واستراتيجية عمل، ورؤية نافذة لموقع الإنسان المؤمن في الكون والعالم، .

3– تعد الحضارة الإسلامية من الحضارات الأصيلة لأنها أحدثت التوازن في جوانب الحياة المختلفة ومتطلباتها ديناً وعلماً وأدباً، ولديها القدرة والقابلية على الاستجابة لمتطلبات الحياة المتغيرة، دون أن تفقد شيئاً من أسسها ومبادئها،

4– العقيدة الإسلامية هي التي ميزت الحضارة الإسلامية، وكانت بمثابة حجر الزاوية في تكوين الحدث الحضاري الإسلامي.

5– قدمت الحضارة الإسلامية العديد من الإنجازات في مجالات الفكر والفلسفة والطب والعلوم التجريبية والفلك والجغرافيا، واستفادت منها أوروبا سنوات عديدة عبر القنوات التي انتقلت إليها هذه العلوم الفكرية الإسلامية.

6– تتميز الحضارة الإسلامية في مظهرها السياسي بأنها تعتمد على مصادر أربعة في التشريع: القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع والقياس.

7– تنوعت مظاهر الخلافة في الحضارة الإسلامية فكانت خلافة راشدة عن طريق الاختيار والترشيح والتزكية ثم ملك وراثي في العهدين الأموي والعباسي.

8– تحقق في الحضارة العربية الإسلامية فصل السلطة القضائية عن بقية سلطات الدولة، ولم يجد القاضي حرجاً في إصدار حكم ضد الولاة، أو الخليفة نفسه.

9- تميزت الحضارة الإسلامية في مظهرها الاقتصادي عبر الاهتمام بالزراعة ومشاريع استصلاح الأراضي البور والري، والصناعة والتجارة التي كانت سبباً كبيراً في نشر الإسلام في دول كثيرة منها دول شرق آسيا وأفريقيا.

10- تميزت الحضارة الإسلامية في مظهرها الاجتماعي بأن شهدت إلغاء الفوارق الطبقية والرابطة العصبية وإحلال رابطة الأخوة الإسلامية محلها، ولكن شهدت في تاريخها فترات تم فيها إثارة النعرات القبلية وتقسيم المجتمع إلى طبقات.

11- اهتم الإسلام بالمرأة وكرمها ورفع من شأنها بعد أن كانت تحرم من حقوقها في الجاهلية، وكان للمرأة دوراً كبيراً في الحضارة الإسلامية في شتى المجالات.

12- شهدت الحضارة الإسلامية تنوعاً في الفكر، وظهرت العديد من الجماعات والفرق والمذاهب.

13- بدأت الحركة الفكرية تنمو عندما استقر الإسلام في المدن التي فتحها، ووصلت أوج الازدهار الفكري زمن العباسيين، وهناك عوامل ساعدت على ازدهار الحياة الفكرية في الحضارة الإسلامية منها: أهمية العلم والمعرفة وحركة التعريب والترجمة التي شجعها الخلفاء وتنافس فيها العلماء وقدموا تجارب كثيرة في مجالات الفكر.

14- انتشرت المكتبات في المدن والحواضر الإسلامية وكان عليها إقبالاً شديداً بسبب ما تحتويها من كنوز علمية ومعرفية.

15- تميزت الحضارة الإسلامية في مظهرها الفني بأن ازدهر الفن الإسلامي في بناء المدن والقصور والمساجد والزخارف والنقوش والخط والرسم.

16- تميزت الحضارة الإسلامية عن غيرها من الحضارات بعدة خصائص من أهمها اعتمادها على الدين الإسلامي والذي حفظه الله بالحفظ وعدم التعرض للتبديل والتحريف، وكذلك مراعاته لجوانب الإنسان العقلية والروحية والجسدية، فلا إفراط ولا تفريط، أما الحضارات الأخرى فإنها اهتمت بجانب وأهملت جانباً، أو تميزت بجانب وتخلفت في جانب آخر.

17- تواجه الحضارة الإسلامية اليوم تحديات كبيرة تهدف إلى إثارة الشبهات والشكوك، والمغالطات الجدلية التي تهدف إلى محاربة الحضارة الإسلامية ومحاولة هدم الإسلام ومحوه من نفوس الناس.

18- تمتلك الأمة الإسلامية رصيداً حضارياً كبيراً ولكي تحافظ عليه يجب أن تحدد موقعها بدقة من مسيرة الحضارة المعاصرة، وتدرس الفراغ الكبير الذي تعاني منه تلك الحضارة، لتتمدد فيه وتقدم قيمها ورسالتها وروحها الحضارية الإنقاذية لحركة الحضارة المادية، مستلهمة رسالات النبوة التي تحملها للعالمين.

**قائمة المصادر والمراجع**

1– أبو خليل، شوقي الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى سنة 1994

2– البوطي، مُحَمَّد سعيد رمضان منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى سنة 1981

3– الرحيم، عبد الحسين مهدي تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، الجامعة المفتوحة طرابلس، سنة 1995

4– العويسي، عبد الله بن حمد مالك بن نبي حياته وفكره، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى سنة 2012

5– الغزال، على أحمد مُحَمَّد الصراع الحضاري بين الغرب والإسلام، رسالة ماجستير من جامعة أم درمان الإسلامية نشرت بتاريخ 2006

6– الفاروقي، إسماعيل، الفاروقي، لويس لمياء، أطلس الحضارة الإسلامية، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى سنة 1998

7– القاضي، نصر الدين مصباح، منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة، دار الفكر العربي القاهرة، الطبعة الأولى سنة 2002

8– المساعيد، مُحَمَّد عطا فنير دور العقيدة في البناء المعرفي للحضارة الإسلامية، رسالة دكتوراه من جامعة العلوم الإسلامية العالمية الأردن، سنة

9- حميدان، قاسم بشرى، أسس بناء الحضارة في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه من جامعة القرآن الكريم في السودان

10- رحمة، بكري عمر، مستقبل الحضارة الإسلامية، مجلة الدراسات الإنسانية كلية الآداب والدراسات الإنسانية جامعة دنقلا، العدد 9 يناير سنة 2013

11- كردعلي، مُحَمَّد، الإسلام والحضارة العربية، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة سنة 2017

12- مؤنس، حسين الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، سلسلة عالم المعرفة، سنة 1978

13- المودودي، أبو الأعلى الحضارة الإسلامية، دار الكتب العربية بيروت، الطبعة الأولى سنة 1970

14- بن نبي، مالك مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى سنة 1988

15- بن نبي، مالك مشكلة الثقافة، دار الفكر دمشق، الطبعة الرابعة سنة 1984

16- بن نبي، مالك، تأملات، دار الفكر دمشق، الطبعة الأولى سنة 1979